

٣٤ - باب الوصية بالنساء

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ١٩] .

المعاشرة الصالحة والمخالطة، والمعنى: ليعاشر كل من الزوجين الآخر بما هو واجب في الشريعة الإسلامية من حسن العشرة قولاً وفعلاً وبذلاً.

قال ابن كثير: أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بما مثله كما قال تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ). وقال ﷺ (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي). رواه الترمذي.

وقال رحمه الله: وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين، يتودد إليها بذلك، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي بيبت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، بل كان محسناً لخديجة بعد وفاتها، وكان يرسل الأعطيات إلى صديقاتها ويقول: اذهبوا به إلى صديقات خديجة . (التفسير) .

• ينبغي أن ينوي كل واحد من الزوجين بالمعاشرة بالمعروف استجابة أمر الله.

فيجب على كل واحد من الزوجين أن يؤدي حق الآخر ويقوم به مع قدرته على أدائه بلا ممانعة ولا كره لأدائه، بل يؤديه ببشر وطلاقة.

كأن تقول المرأة: أريد كسوة، فيقول: إن شاء الله، ثم يماطل وتمضي الأيام ولم يأتي لها بشيء.

لأن المطل مع القدرة عليه حرام، ولذلك قال النبي ﷺ . (مطل الغني ظلم).

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} [النساء: ١٢٩] .

(وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ) أي: لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب ولو حرصتم على العدل.

• قال القرطبي: أخبر تعالى بنفي الاستطاعة في العدل بين النساء، وذلك في ميل الطبع بالمحبة والجماع والحظ من القلب، فوصف الله تعالى حالة البشر وأنهم بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم إلى بعض دون بعض.

• وقال الشنقيطي: هذا العدل الذي ذكر الله تعالى هنا أنه لا استطاع، هو العدل في المحبة والميل الطبيعي، لأنه ليس تحت قدرة البشر، بخلاف العدل في الحقوق الشرعية فإنه مستطاع.

• وقال ابن كثير: أي: ولن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن وقع القسم الصوري ليلة وليلة فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة.

• وقال الرازي: المعنى أنكم لستم منهيين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لأن ذلك خارج عن وسعكم، ولكنكم منهيون عن إظهار ذلك التفاوت في القول والفعل.

وقد جاء في الحديث (أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك).

(فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) أي: فإذا ملتم إلى واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية.

• قال ابن عاشور: أي لا يُفْرط أحدكم بإظهار الميل إلى أحدهنَّ أشدَّ الميل حتَّى يسوء الأخرى بحيث تصير الأخرى كالمعلقة. (فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) أي: فتبقى هذه الأخرى معلقة، قال بعض العلماء: أي: لا ذات زوج ولا مطلقة. (وَإِنْ تُضَلِّحُوا وَتَتَّقُوا) أي: وإن أصلحتم في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتقيتم الله في جميع الأحوال غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض. (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) يغفر الزلات والهفوات ، وهذا من رحمته سبحانه وتعالى .

٢٧٣/١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ) متفقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية في الصحيحين (الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ وَفِيهَا عَوْجٌ) . وفي رواية لمسلم (إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عَوْجٌ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسَرُهَا طَلَاقُهَا) . قوله: "عَوْجٌ" هُوَ بفتح العين والواو.

(اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) أي: اقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها، وارفقوا بهن، وأحسنوا عشرتهن. (فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ) هذه الجملة تعليلية مقصود منها لما يجب على الزوج من معاملة المرأة ، والمعنى أنك إذا عرفت خِلقة المرأة فعليك أن تعاملها على حسب خلقتها . قال في الفتح: قيل: إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر. والضِّلَعُ: بكسر الضاد وفتح اللام، ويجوز بكسر الضاد وإسكان اللام، والضلع هو أحد عظام الصدر، ومراد النبي ﷺ: (خلقت من ضِلَعٍ) المراد خلق أُمَّنَا حواء من ضلع آدم . (وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ) ذكر ذلك تأكيداً لمعنى الكسر لأن الإقامة أمرها أظهر في الجهة العليا أو إشارة إلى أنها خلقت من اعوج أجزاء الضلع مبالغة في إثبات هذه الصفة لهن، ويحتمل أن يكون ضرب ذلك مثلاً لأعلى المرأة، لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها، وهو الذي يحصل منه الأذى. (الفتح). (فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ) وفي رواية مسلم (وَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهَا كَسَرْتَهَا ، وَكَسَرُهَا طَلَاقُهَا) قيل: هو ضرب مثل الطلاق، أي: إن أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها. (وَإِنْ تَرَكْتَهُ) وفي الرواية الثانية (وإن تركتها) أي: على ما هي عليه من اعوجاج. (لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ) وفي رواية مسلم (اسْتَمْتَعْتَ وَبِهَا عَوْجٌ).

١- الحديث دليل على الوصية بالنساء والحرص على الإحسان إليهن وملاطفتهن وتحمل نقصهن. قال النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُلَاطَفَةُ النِّسَاءِ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِنَّ وَالصَّبْرُ عَلَى عَوْجِ أَخْلَاقِهِنَّ وَاحْتِمَالُ ضَعْفِ عُقُولِهِنَّ، وَكَرَاهَةُ طَلَاقِهِنَّ بِلَا سَبَبٍ وَأَنَّهُ لَا يَطْمَعُ بِاسْتِقَامَتِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وقد جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ). رواه مسلم وفي قوله ﷺ (وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه) الضلع فيه اعوجاج لكن أعلاه أكثر اعوجاجاً ، والغرض من هذه الجملة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج . ويستفاد منها فائدتان : أولاً : لا يستنكر اعوجاجها .

ثانياً : أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبل التقويم .

٢- الحديث دليل على عناية الإسلام بشأن المرأة حيث جاءت الوصية بالنساء ، بل تكرر بهذا الحديث مرتين ، وفي مناسبات كررها النبي ﷺ ، وهذا التكرار فيه تأكيد ضرورة فقه الوصية بالنساء ، وذلك لضعف النساء ولحاجة من يقوم بهن .

فقد قال ﷺ في حجة الوداع (ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عوانٍ عندكم) رواه الترمذي .

(عوان) أي اسيرات جمع عانية وهي الأسيرة .

وقال ﷺ (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خيارهم لنسائهم) رواه الترمذي .

وقال ﷺ (إني أخرج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة) رواه النسائي .

قال النووي : معنى أخرج : أخرج الحرج وهو الإثم بمن ضيع حقهما ، وأحذر من ذلك تحذيراً بليغاً ، وأزجر عنه زجراً أكيداً .

٣- الحديث توجيه نبوي ودرس تربوي في معاملة النساء بالتسامح والصبر ، وهذا إنما يتم بالمعاشرة الطيبة والتحمل لما قد يحصل من المرأة ، ما دام لا يتصل بالدين والشرف .

٤- كمال الدين الإسلامي حيث أوصى بكل ضعيف خيراً .

٥- بيان ما من الله به على الأمة من مخالفة عادات الجاهلية ، فإنهم في الجاهلية كانوا يؤذون النساء ويتدوئنهن أحياء ، ولا يؤرثنوهن .

٦- حسن تعليم النبي ﷺ بضرب الأمثال .

٧- أن الإنسان يرجع إلى أصله ، لأن قول الرسول ﷺ (خلقن من ضلع) يبين أنهن ما دام خلقن من شيء أعوج فستكون أعوجا ينبغي على الرجل أن يصبر على عوج امرأته .

٨- شدة الطلاق على المرأة ، لقوله ﷺ (وكسرها طلاقها) .

٢٧٤/٢- وعن عبد الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه ، أنه سمع النبي ﷺ يخطب ، وذكر النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقَّاهَا { أَنْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ ، عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ } ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ ، فَوَعظَ فِيهِنَّ ، فَقَالَ : " يَعْمِدُ أَحَدَكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ " ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحْكِهِمْ مِنَ الصَّرْطَةِ وَقَالَ : " لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ ؟) متفق عليه

(وعن عبد الله بن زَمْعَةَ) القرشي الصحابي المشهور .

(وذكر النَّاقَةَ) أي : ناقة صالح .

(وَالَّذِي عَقَرَهَا) والذي عقرها هو قُدَار بن سالف ، وهو أحيمر ثمود الذي يُضرب المثل في الشؤم .

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقَّاهَا) وهو قدار السالف ذكره .

(أَنْبَعَتْ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ) قليل المثل .

(عَارِمٌ) العارِمُ بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَالرَّاءِ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : هُوَ الشَّرِيرُ الْمُفْسِدُ الْحَبِيثُ ، وَقِيلَ : الْقَوِيُّ الشَّرِسُ . (نووي)

(مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ) أي : قوي ذو منعة في قومه .

(ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ) أي : ذكر النبي ﷺ في خطبته النساء وما يتعلق بأموهن استطراداً لما يقع من الأزواج .

(فَوَعظَ فِيهِنَّ) أي : وعظ الأزواج في النساء وأوصاهم بهن .

(فَقَالَ: "يَعْمِدُ أَحَدَكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ) وفي رواية (جلد الأمة) وفي رواية للنسائي: "كما يضرب العبد والأمة"، وفي رواية: "جلد البعير، أو العبد"، وفي رواية للبخاري: "ضرب الفحل، أو العبد"، والمراد بالفحل: البعير، وفي حديث لقيط بن صبرة عند أبي داود: "ولا تضرب ظعنيتك ضربك أمتك .

(فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ) وفي رواية: "في آخر اليوم"، وفي رواية عند أحمد: "من آخر الليل"، وللنسائي: "آخر النهار"، وفي رواية: "آخر الليل، أو من آخر الليل"، وكلها متقاربة.

(ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحْكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ) أي: من أجل خروج الضرطة من دُبر بعضهم .

(وَقَالَ: "لَمْ يَضْحَكْ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟) بنفسه، وهو خروج الضرطة منه، فإن كلَّ أحد يخرج منه، فلا داعي لاستغرابه من غيره، فإن الإنسان إنما يضحك من أي شيء إذا كان مستغرباً من غيره، لا إذا كان واقعاً من كلِّ أحد.

١- الحديث دليل على حرص النبي ﷺ بالنساء والتذكير بهن في كل محفل ومناسبة .

كما في حجة الوداع : قال ﷺ (فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِإِْمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ . فَإِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَهَنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكَسَوْتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) .

٢- النَّهْيُ عَنِ ضَرْبِ النِّسَاءِ لِغَيْرِ ضَرُورَةِ التَّأْدِيبِ .

عن عائشة قالت (ما ضَرَبَ رسول الله ﷺ امرأة له، ولا خادماً قط، ولا ضرب بيده شيئاً قط، إلا في سبيل الله، أو تُنتهك حرمت الله، فينتقم الله) رواه النسائي .

وعن معاوية بن حيدة قال: قلت يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال: (أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تحجر إلا في البيت) رواه أبو داود .

ولحديث الباب (يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ) .

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على قول البخاري: باب ما يكره من ضرب النساء، وقول الله تعالى (واضربوهن) أي ضرباً غير مبرح. وكان هديه ﷺ أكمل هدي ، فلم يضرب في حياته كلها ﷺ خادماً ، ولا امرأة من نسائه ﷺ .

عن عائشة رضي الله عنها قالت (ما ضَرَبَ رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وما نِيلَ منه شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَل) رواه مسلم .

قال النووي : فيه أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحاً للأدب : فتركه أفضل.

وأخبر ﷺ أن ترك ضرب النساء هو فعل الخيار من الناس.

عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ) فَجَاءَ عُمَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ دُزِرَنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فَرَحَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ ، فَأَطَافَ بِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (لَقَدْ طَافَ بِأَلِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِخِيَارِكُمْ) رواه أبو داود .

دُزِرَ : أي : نشرن وساءت أخلاقهن.

وفي " عون المعبود " بل خياركم من لا يضربهن ، ويتحمل عنهن ، أو يؤدبن ولا يضربهن ضرباً شديداً يؤدي إلى شكايتهن.

٣- التحذير من ظلم النساء .

فمن تعدى وبعى على زوجته وضربها بغير حق فإنه يسأل، لأن الله تعالى يقول (فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى قوله (إن الله كان علياً كبيراً) تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن، وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن.
وضرب الزوجة فيها محاذير :

مخالفة الأمر في المعاشرة بالمعروف.

وقد أمر الله تعالى الزوج بمعاشرته بالمعروف نصّاً ، فقال عز وجل : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) .
الوقوع في إثم الظلم.

والظلم محرم في الكتاب والسنة ، وضرب الرجل لامرأته من غير مسوغ : ظلم بين ، والظلم ظلمات على صاحبه يوم القيامة .
عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا) رواه مسلم .

٤- أن الإسلام حرص على الضعفاء والمساكين وتوعد في ظلمهم .

٥- في الحديث النهي عن الضحك من الضرطة يستمعها من غيره ، بل ينبغي أن يتعافل عنها ويستتمر على حديثه واشتغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره ، ويُظهِر أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ . (نوي)

٦- وفيه حُسن الأدب والمُعاشرة ، ومن ذلك التغافل عن ما يستحي منه .

وقد ذكر العلماء أن التغافل من أخلاق الكرام :

قال عمرو بن عثمان المكي : المروءة التغافل عن زلل الإخوان .

وقال معاوية : العقال مكيال ثلثة فطنة وثلثاه تغافل .

قال بعض العلماء : إذا تعلمت التجاهل والتغافل فقد اجتزت نصف مشاكل الحياة .

قال بعض العلماء : الغفلة ضياع ، والتغافل حكمة .

وقال أحمد : تسعة أعشار حسن الخلق بالتغافل .

قال الحسن : ما زال التغافل من فعل الكرام .

وقال الأعمش : التغافل يطفئ شرّاً كثيراً .

٧- في الحديث بيان أشقى الناس وهو عاقر الناقة .

قال تعالى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) .

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ) يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم وهو صالح عليه السلام .

(بِطَغْوَاهَا) أي بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي .

• وكان نبيهم صالح يدعوهم إلى التوحيد فكذبوه، ثم سألوه آية فأخرج الله لهم ناقة عظيمة من صدع الجبل - كما ذكره المفسرون- وحذرهم نبيهم أن يمسوها بسوء، ولكنهم تمادوا في الكفر، ولجوا في طغيانهم يعمهون، وتآمروا على قتل الناقة .

وكانوا هم الذين سألوها صالحاً أن يأتيهم بآية.

قال تعالى عنهم أنهم قالوا (فأتنا بآية إن كنت من الصادقين).

وفي سورة الشعراء (فأت بآية إن كنت من الصادقين).

وقال تعالى (وأتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها).

أي : أن قوم ثمود طلبوا من صالح آية ناقة تخرج من صخرة عينوها، فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوا. (مبصرة) أي أن هذه الآية مبصرة: أي بينة تجعلهم يبصرون الحق واضحاً لا لبس فيه، دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذي أجيب دعاؤه فيها.

وحذرهم من التعرض لها بسوء :

قال تعالى عنه (وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) .

ولعل الداعي لصالح لنهيبهم عن التعرض لها مع أنهم لم يُظهروا ما يدل على ذلك : هو معرفة نبي الله صالح عليه السلام أن القوم متمردون مصرون على كفرهم ، وذلك قد يدفعهم إلى قتلها ، لأنها آية دالة على صدقه وحجة قائمة عليهم ، وهم خصوم له ولدعوته ، والخصم لا يجب ظهور حجة خصمه .

لكنهم تأمروا وطغوا واتفقوا على قتل الناقة .

كما قال تعالى (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَكْدُوبٍ) .

وقال تعالى في سورة الشعراء (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ) .

والذي تولى قتلها أشقاهم كما قال تعالى :

(إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا) أي : نض أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة .

• قال ابن كثير : (وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم ، شريفاً في قومه ، نسيباً رئيساً مطاعاً) .

(فَقَالَ هُمْ رَسُولُ اللَّهِ) يعني صالح عليه السلام محذراً .

• قال الألوسي : (رَسُولُ اللَّهِ) هو صالح عليه السلام وعبر عنه بعنوان الرسالة إيداناً بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في إضافة الناقة إليه تعالى في قوله سبحانه (نَاقَةُ اللَّهِ) .

(نَاقَةُ اللَّهِ) أي : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء ، وهي الناقة التي طلبوها آية لهم فأخرجها الله لهم من صخرة صماء وجعلها آية وحجة عليهم ، قال تعالى عن صالح أنه قال لهم (وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) .

• قال الخازن : (ناقة الله) أي : ذروا ناقة الله وإنما قال لهم ذلك لما عرف منهم أنهم قد عزموا على عقرها وإنما أضافها إلى الله تعالى لشرفها كبيت الله .

(وَسُقِّيَاهَا) أي : لا تعتدوا عليها في سقياها ، فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم .

كما قال تعالى (هَذِهِ نَاقَةُ هَآءَ شَرِبْتُمْ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ) .

• قال المفسرون : سقياها : شربها من الماء ، والمعنى : لا تتعرضوا ليوم شربها .

(فَكَذَّبُوهُ) أي : كذبوا نبيهم في أمر الناقة .

(فَعَقَرُوهَا) أي : قتلوها .

كما قال تعالى (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) .

وقال تعالى (فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرٍ مَكْدُوبٍ) .

فإن قال قائل: لماذا قال (فعقروها) مع أن الذي تولى عقرها واحد؟

• قال القرطبي: إنما اضيف العقر إلى الكل، لأنه كان برضى الباقيين.

أعلاهم: من لحظ الأخلاق الجميلة والمحاسن، وغض عن المساوئ بالكلية وتناساها.

وأقلهم توفيقاً وإيماناً وأخلاقاً جميلة، من عكس القضية، فأهدر المحاسن مهما كانت، وجعل المساوئ نصب عينيه، وربما مددها وبسطها وفسرها بظنون وتأويلات تجعل القليل كثيراً، كما هو الواقع.

والقسم الثالث: من لحظ الأمرين، ووازن بينهما، وعامل الزوجة بمقتضى كل واحد منها، وهذا منصف. ولكنه قد حرم الكمال. وهذا الأدب الذي أرشد إليه ﷺ ينبغي سلوكه واستعماله مع جميع المعاشرين والمعاملين؛ فإن نفعه الديني والديني كثير، وصاحبه قد سعى في راحة قلبه، وفي السبب الذي يدرك به القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة؛ لأن الكمال في الناس متعذر، وحسب الفاضل أن تعدد معاييه، وتوطين النفس على ما يجيء من المعاشرين مما يخالف رغبة الإنسان، يسهل عليه حسن الخلق، وفعل المعروف والإحسان مع الناس.

وقال رحمه الله: قول النبي ﷺ: لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر. فائدتان عظيمتان:

أ- الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب والمعامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطن نفسك على أنه لا بد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكر ما فيه من المحاسن، والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة المحاسن، تدوم الصحة والاتصال وتتم الراحة وتحصل لك.

ب- وهي زوال الهم والقلق، وبقاء الصفاء، والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة: وحصول الراحة بين الطرفين، ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي ﷺ بل عكس القضية فلحظ المساوئ، وعمي عن المحاسن-، فلا بد أن يقلق، ولا بد أن يتكدر ما بينه وبين من يتصل به من المحبة، ويتقطع كثير من الحقوق التي على كلٍ منهما المحافظة عليها. (الوسائل المفيدة)

٢- الحديث دليل على نهي الرجل أن يبغض لزوجته وكرهيته لها، لأنه إن وجد فيها خلقاً يكرهه وجد فيها خلقاً مرضياً.

٣- دعوة الرجل إلى الإنصاف وتحكيم عقله.

٤- أن طلب الكمال من المستحيل، لأن المرأة خلقت من ضلع أعوج.

٥- حكمة الشريعة الإسلامية في استمرار العلاقة بين الزوجين.

٦- من الأخطاء المنتشرة عند بعض الرجال، النظر إلى الجوانب السلبية في المرأة دون الجوانب الإيجابية، فالواجب عليه القيام بالعدل مع زوجته.

٧- هذا الذي ذكره النبي ﷺ في تعامل الرجل مع زوجته، أيضاً يكون بين الإنسان وبين أي إنسان آخر يعامله أو يصادقه.

٤٢٧٦- وعن عمرو بن الأحوص الجشمي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وذكر ووعظ، ثم قال: (ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نساءكم حقاً، ولنساءكم عليكم حقاً، فحقوقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(عوان) أي: أسيرات، جمع عانية، بالعين المهملة، وهي الأسيرة، والعاني: الأسير. شبه رسول الله ﷺ المرأة في دحولها تحت حكم الزوج بالأسير.

(والضرب المبرح) هو الشاق الشديد.

(فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ) أي: فإذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها، مما أباحه الله له منها.

● قال الرازي: أي إذا رجعت عن النشوز إلى الطاعة عند هذا التأديب.

(فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا) أي: فلا تطلبوا وتلتمسوا عليهن طريقاً لإيذائهن لا بقول ولا بفعل، ولا بهجر ولا ضرب ولا غير ذلك، فما دمن أظعن، وتركن النشوز، فلا ينبغي معاتبتهن على الأمور الماضية، والتنقيب عنها، بل ينبغي ترك ما مضى وتناسيه كأنه لم يكن، لأن التذكير بذلك يؤدي إلى استمرار النشوز والمعصية.

١- الحديث دليل على حرص الشريعة على المرأة وإعطائها حقوقها وعدم ظلمها وتذكير الرجال بالقيام عليهن ونصحهن والاهتمام بهن .

٢- شبه النبي ﷺ المرأة عند الرجل بالعانية وهي الأسيرة .

٣- تحريم ضرب الزوجة من غير سبب كما تقدم .

٤- يجوز ضرب الزوجة في حالة عصيائها وإتيانها بالفاحشة لكن بعد وعظها وهجرها .

قال تعالى (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا) .

أي: والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن.

● والنشوز لغة: مأخوذ من النشز وهو المكان المرتفع من الأرض، واصطلاحاً: معصية الزوجة الزوج فيما فرض الله عليها من طاعته.

● ذكر الله تعالى علاج المرأة الناشز فقال:

(فَعِظُوهُنَّ) بأن يذكرها بما يلين قلبها، ويصلح عملها من ثواب وعقاب، يخوفها بالله سبحانه وتعالى وأليم عقابه، ويذكرها بما أعد الله للمرأة العاصية لزوجها من أليم عقابه:

مثل قوله ﷺ (إذا دعا الرجل زوجته إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح) رواه مسلم.

ومثل: قوله ﷺ (لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) رواه أبو داود.

فإذا لم ينفذ هذا العلاج ينتقل إلى الأمر الثاني وهو:

(وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) هذا العلاج الثاني من علاج نشوز المرأة، وهو هجرها في المضجع.

لقوله تعالى (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ).

● وتركها في المضجع على ثلاثة أوجه:

أولاً: أن لا ينام في حجرتها، وهذا أشد شيء.

ثانياً: أن لا ينام على الفراش معها، وهذا أهون من الأول.

ثالثاً: أن ينام معها في الفراش، ولكن يلقبها ظهره ولا يحدثها، وهذا أهونها.

ويبدأ بالأهون فالأهون، لأن ما كان المقصود به المدافعة فالواجب البداءة بالأسهل فالأسهل.

● ويهجرها ما شاء حتى ترتدع وترجع.

(وَاضْرِبُوهُنَّ) أي: فإن لم ترتدع ولم ينفذ معها الوعظ والهجر، ضربها.

٥- شروط ضرب الزوجة في هذه الحالة :

أولاً: أن يكون غير مبرحاً أي: غير شديد.

لقوله ﷺ (... فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَحَدْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُوشَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ. فَإِنْ فَعَلَنَّ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ) رواه مسلم.

ولأن المقصود التأديب والزجر والإصلاح، لا الإيذاء والضرر والانتقام، ويتقي الوجه والمقاتل.
ثانياً: أن يجتنب الوجه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَحَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ) رواه البخاري ومسلم واللفظ له، وفي رواية له بلفظ (إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ ...).

ثالثاً: لا ينتقل إلى الضرب إلا بعد الوعظ والمهجر.

● هذه المراتب إذا كان الزوج قائماً بالحقوق، أما إذا لم يقيم بحقوق الزوجة فلا يحل له أن يسلك هذه المراتب.

٦- كما للزوج حقوق على زوجته ، فكذلك للزوجة حقوق عليه .

قال تعالى (وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وقال تعالى (وعاشروهن بالمعروف) .

قال ابن كثير : أي طيبوا أقوالكم لمن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى (وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) قال رسول الله ﷺ (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويوسعهم نفقة ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ﷺ يتودد إليها بذلك قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني فقال: (هذه بتلك) ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها وكان ينام مع المرأة من نساءه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ وقد قال تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

وقال الذهبي : وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضاً مأمور بالإحسان إليها واللطف بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) .

وقال ابن عباس : إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تزين لي لأن الله عز وجل يقول (وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) وما أحب أن أستوفي جميع حق لي عليها لأن الله عز وجل يقول (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) . رواه ابن أبي شيبة .

٢٧٧- وعن معاوية بن حيدة ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ (أَنْ تُطْعَمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ) حديث حسن رواه أبو داود؛ وَقَالَ: معني "لا تُقَبِّحُ" أي: لا تقل قبحك الله.

١- الحديث دليل على أنه يجب على الزوج أن ينفق على زوجته ، وهذا بالإجماع .

قال ابن قدامة: نفقة الزوجة واجبة بالكتاب والسنة والإجماع.

أ- لقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته).

ب- ولقوله ﷺ (اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) رواه مسلم.

قال النووي: وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع.

ج- وحديث الباب (تطعمها إذا أكلت، وتكسوها إذا اكتسيت).

د- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ (دَخَلْتُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ - امْرَأَةَ أَبِي سُفْيَانَ - عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، لَا يُعْطِينِي مِنَ النَّقْمَةِ مَا يَكْفِينِي وَيَكْفِي بَنِيَّ، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْ مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمِهِ. فَهَلْ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ مِنْ جُنَاحٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكَ وَيَكْفِي بَنِيكَ) متفق عليه.

وهذا كله مقيد بالسعة والمعروف كما قال تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ).

٢- الحديث دليل على تحريم ضرب الوجه .

ولحديث (إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ) .

قال النووي: هَذَا تَصْرِيحٌ بِالنَّهْيِ عَنِ ضَرْبِ الْوَجْهِ ؛ لِأَنَّهُ لَطِيفٌ يَجْمَعُ الْمَحَاسِنَ ، وَأَعْضَاؤُهُ نَفِيسَةٌ لَطِيفَةٌ ، وَأَكْثَرُ الْإِدْرَاكِ بِهَا ؛ فَقَدْ يُبْطَلُهَا ضَرْبُ الْوَجْهِ ، وَقَدْ يُنْقِصُهَا ، وَقَدْ يُشَوِّهُ الْوَجْهَ ، وَالشَّيْنُ فِيهِ فَاحِشٌ ؛ وَلِأَنَّهُ بَارِزٌ ظَاهِرٌ لَا يُمَكِّنُ سِتْرَهُ ، وَمَتَى ضَرْبُهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَيْنٍ غَالِبًا.

وقال الحافظ: ويدخل في النهي كل من ضرب في حد أو تعزير أو تأديب، وقد وقع في حديث أبي بكره وغيره عند أبي داود وغيره في قصة التي زنت، فأمر النبي ﷺ برجمها وقال (ارموا واتقوا الوجه) وإذا كان ذلك في حق من تعين إهلاكه فمن دونه أولى. (الفتح)

وقال الصنعاني: وهذا النهي عام لكل ضرب ولطم من تأديب أو غيره. (سبل السلام).

٣- الحكمة من النهي عن ضربه؟

قال النووي: قال العلماء: إنما نُهي عن ضرب الوجه لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأكثر ما يقع الإدراك بأعضائه، فيخشى من ضربه أن تبطل أو تتشوه كلها أو بعضها، والشين فيها فاحش لظهورها وبروزها بل لا يسلم إذا ضرب غالباً من شين.

وقال الشيخ ابن عثيمين: ولأن الوجه أشرف ما في الإنسان، وهو واجهة البدن كله، فإذا ضرب كان أذل للإنسان مما لو ضرب غير وجهه.

وقال في الفتح في خصوص دلالة النهي الوارد في الحديث: لم يتعرض النووي لحكم هذا النهي، وظاهره التحريم، ويؤيده حديث سويد بن مقرن الصحابي: أنه ﷺ رأى رجلاً لطم غلاماً فقال (أو ما علمت أن الصورة محترمة).

٤- ما الجواب عن فعل امرأة الخليل عليه الصلاة والسلام، وهو ما جاء في قوله تعالى: (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا)؟ فالجواب عنه من خمسة أوجه:

الوجه الأول: معناه ضَرَبَتْ وَجْهَهَا. قال ابن عباس: لَطَمَتْ، وهذا مما يفعله الذي يرد عليه أمر يستهوله. أفاده ابن عطية.

والوجه الثاني: أن هذا الفعل للتعجب .

قال سفيان والسدي ومجاهد: معناه ضربت بِكَفِّهَا جبهتها وهذا مستعمل في الناس حتى الآن

وقال البغوي: أي ضَرَبَتْ وَجْهَهَا تَعَجُّبًا.

وقال ابن كثير: جَرَتْ به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب.

والوجه الثالث: أنه ضرب خفيف .

فَقِيلَ: إِنَّهَا ضَرَبَتْ جَبِينَهَا بِأَصَابِعِهَا تَعْجَبًا.

ومعلوم أن مَنْ ضَرَبَ نَفْسَهُ لَا يَكُونُ ضَرْبَ إِهَانَةٍ وَلَا ضَرْبَ إِيْلَامٍ.

والوجه الرابع: أنه هو لو صحَّ أنه من ضَرَبَ الْوَجْهَ فَهُوَ مِنْ شَرَعٍ مَنْ قَبَّلْنَا.

وقد جاء شرعنا بخلافه.

الوجه الخامس: أن المنهي عنه ضَرَبَ الْإِنْسَانَ وَجْهَ غَيْرِهِ، وهذا من ضرب النفس.

٢٧٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرَكُمْ خَيْرَكُمْ لِنِسَائِهِمْ)
رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(خَيْرَكُمْ خَيْرَكُمْ لِنِسَائِهِمْ) جاء سبب ذلك عند ابن حبان في صحيحه بإسناد جيد عن ابن عباس: " أن الرجال استأذنوا

رسول الله ﷺ في ضرب النساء ، فأذن لهم ، فضربوهن ، فبات فسمع صوتا عاليا ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : أذنت للرجال في

ضرب النساء فضربوهن فنهاهم وقال : (خيركم خيركم لأهله وأنا من خيركم لأهلي) .

١- الحديث دليل على فضل حسن الخلق ، ولحسن الخلق فضائل كثيرة :

فهو من أسباب دخول الجنة .

فقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة فقال (تقوى الله وحسن الخلق) رواه الترمذي .

وكان النبي ﷺ يدعو به .

كان ﷺ يقول في استفتاحه لصلاة الليل (واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ...) .

وكان يقول (اللهم كما أحسنت خلقي فحسّن خلقي) .

وهو أثقل شيء في الميزان .

قال ﷺ (ما من شيء أثقل في الميزان يوم القيامة من حسن الخلق) رواه الترمذي .

وحسن الخلق من كمال الإيمان .

قال ﷺ (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً) رواه أحمد .

والنبي ﷺ حصر دعوته في حسن الخلق .

قال ﷺ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه أحمد .

لخلق الحسن من أسباب النجاة من النار .

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ؟ على كلِّ قريب هين سهل) رواه الترمذي .

ويدرك المؤمن بحسن خلقه درجة الصائم القائم .

قال ﷺ (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) رواه أبو داود .

وتكفّل النبي ﷺ بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه .

قال ﷺ (أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) رواه أبو داود .

ولخلق الحسن ذو أهمية بالغة .

لأن الله - عز وجل - أمر به نبيه الكريم، وأثنى عليه به، وعظّم شأنه الرسول الأمين ﷺ .

قال الله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) .

وقال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

وأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ صاحب الخلق الحسن .

قال ﷺ (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً) رواه الترمذي .

وخير الناس أحسنهم خلقاً .

كما في قوله ﷺ (إِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا) .

ويحصل بالخلق الحسن: جوامع الخيرات والبركات .

قال النبي ﷺ (البر حسن الخلق) رواه مسلم .

الخلق الحسن خير من الدنيا وما فيها .

قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو (أربع إذا كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانةٍ ، وصدق حديث ، وحسن خليفة ، وعفة في طعمة) رواه أحمد .

والخلق الحسن من أعظم الأساليب التي تجذب الناس إلى الإسلام، والهداية، والاستقامة .

ولهذا من تتبّع سيرة المصطفى ﷺ وجد أنه كان يلازم الخلق الحسن في سائر أحواله وخاصة في دعوته إلى الله تعالى، فأقبل الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً بفضل الله تعالى ثم بفضل حسن خلقه ﷺ فكم دخل في الإسلام بسبب خلقه العظيم.

فهذا يُسلم ويقول (والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إلي) .

وذاك يقول (اللهم ارحمني ومُحِبّاً ولا ترحم معنا أحداً) تأثر بعفو النبي ﷺ ولم يتركه على تحجيره رحمة الله التي وسعت كل شيء، بل قال له (لقد تحجرت واسعاً) .

والآخر يقول (فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه) .

والرابع يقول (يا قومي أسلموا فإن مُحِبّاً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة) .

وأمر النبي ﷺ به .

عن أبي ذر جُنْدُب بن جُنَادَةَ وأبي عبدِ الرحمانِ معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنهما ، عن رسولِ الله ﷺ ، قَالَ (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّبًا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) رواه الترمذي .

قال ابن رجب رحمه الله : هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرد بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيراً من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده ... إلى أن قال : والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جداً ،

ولا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصدّيقين .

من أقوال السلف :

قال الحسن : حسن الخلق : الكرم ، والبذلة ، والاحتمال .

وقال ابن المبارك : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .

وسئل سلام بن أبي مطيع عن حسن الخلق فأنشد شعراً فقال :

تراه إذا ما جنته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ولو لم يكن في كفه غيرُ روحه لجاد بها فليتنق الله سائله

هو البحرُ من أي النواحي أتيتَه فلجته المعروفُ والجودُ ساحله

وقال الشاعر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قال ابن القيم : حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة .

٢- قوله (وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ) كان ﷺ يتمثل تلك الخيرية في أقواله وأفعاله في بيته ومع زوجته .

(لما سُئِلَتْ عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة، خرج فصلّى .

وكان وفياً مع خديجة رضي الله عنها، حتى بعد وفاتها .

فمن عائشة قالت (ما غرث على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة، فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوماً، فقلت: خديجة، فقال رسول الله ﷺ إني قد رزقتُ حبها) .

هكذا هو الوفاء حتى بعد موتها رضي الله تعالى عنها يكرم صديقات خديجة، ويذكر حبه لها، إنه الوفاء الحمدي الشريف.

٣- قوله (وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ) :

من متطلبات هذه الخيرية : التغافر والتغافل والتغاضي؛ لأنك حين تدقق في جميع الأشياء - حتى في معظمها - فإنك لا تتراح ولا تُريح، فتشقى وتُشقى، أما بالتغافل النسبي المقبول، فتدوم السعادة وتحصل الخيرية .

ومن متطلبات الخيرية : الغيرة على المحارم؛ حيث إن من الخير الذي يسوقه راعي البيت لرعيته الحشمة والعفة والتربية عليها، ومما يتمثل فيه هذا الجانب اللباس الساتر، وخلق الحياء، وعدم تكليم النساء للرجال إلا عند الحاجة الماسة، وتثقيف أهل البيت بهذه وأمثالها بين الفينة والأخرى؛ حتى تكون أخلاقاً دارجة لهم .

ومن متطلبات الخيرية : تعليم أهل البيت ما يهمهم في أمور دينهم ودنياهم في تصحيح عباداتهم، وحل إشكالاتهم .

ومن متطلبات الخيرية : التوسعة على أهل البيت في النفقة بالمعروف، وهذا من الإنفاق الحمود .

ومن متطلبات حصول الخيرية : الألفاظ الطيبة في المعاملة، أو المحادثة والمجالسة، واللسان هو رسول القلب إلى القلوب، فتتفتح وتبتهج القلوب بما يُلقى من كلام طيب معسول، ولا سيما أنها صدقة؛ حيث يقول النبي ﷺ: والكلمة الطيبة صدقة .

ومن متطلبات الخيرية : السلام على الأهل عند دخول البيت، فمصالحه لا تُحصى كثرة، فمنها الحسنات المكتوبة عليه، ومنها أنه دعاء بالسلامة والرحمة والبركة، وهي متطلبات عظيمة، ومنها الضمان؛ كما في الحديث قال ﷺ: (ثلاثة كلهم ضامنٌ على الله، وذكر منهم: ورجل دخل بيته بسلام)، ومنها أن من أسباب المحبة والمودة ذلك السلام، إلى غير ذلك، فلذلك كان السلام أصلاً من أصول الخيرية .

ومن لوازم تلك الخيرية : التنازل عن بعض الحقوق الثانوية، لكسب مصالح أخرى قد تكون أعظم منها، كالتألف والاجتماع والتواد وغيرها، وعدم الانتصار للنفس في كل موطن، خصوصاً مع الأهل والأقارب والجيران، فإن النفس أحياناً تقود إلى مسالك لا تحمد عقباها.

ومن لوازم الخيرية : كثرة الدعاء للزوجة والأولاد ونحوهم، فهذا من الخير الذي يساق إليهم بسبب الدعاء، مع ما يحصل له هو من تأمين الملك على دعائه وقوله: (ولك بمثل)، فيحصل بالدعاء مع سهولته أمران عظيمان، حصول الخير لهم بدعائه، وحصول الخير له هو بدعاء الملك له، فأعظم بهما من ربح كبير.

٤- الحديث دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة:

قال تعالى (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا).

وقال تعالى (وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا).

وقال تعالى (فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

وقال تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ).

وقال ﷺ (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) متفق عليه.

وقال ﷺ (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) رواه أبو داود.

وعن ابن مسعود أنه قال (اللهم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً). رواه ابن بطة بإسناد صحيح.

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول (الإيمان يزداد وينقص) رواه ابن ماجه.

وكان عمر يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله.

وكان معاذ بن جبل يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة.

٢٧٩- وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ) فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ذُتِرْنَ النَّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَحَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِخِيَارِكُمْ" رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

(ذُتِرْنَ) هُوَ بَدَالٌ مُعْجَمَةٌ مُفْتُوحَةٌ تُمُّ هَمْزَةٌ مَكْسُورَةٌ تُمُّ رَاءِ سَاكِنَةٌ تُمُّ نُونٌ، أَي: اجْتَرَأْنَ .

(أَطَافَ) أَي: أَحَاطَ.

١- النهي عن ضرب الزوجات .

٢- الحديث دليل على أن ترك ضرب الزوجات هو فعل خيار الناس .

قوله (لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِخِيَارِكُمْ) جاء في " عون المعبود : بل خياركم من لا يضربهن ، ويتحمل عنهن ، أو يؤدبهن ولا يضربهن ضرباً شديداً يؤدي إلى شكائتهن .

٣- يجوز ضرب الزوجة في حال تمردها ونشوزها وعصيانها ، وقد تقدم ذلك بعد الوعظ والتذكير .

قال الإمام الشافعي : فجعل لهم الضرب وجعل لهم العفو وأخبر أن الخيار ترك الضرب .

وقال الحافظ ابن حجر : فيه دلالة على أن ضربهن مباح في الجملة ومحل ذلك أن يضربها تأديباً إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته فإن اكتفى بالتهديد ونحوه كان أفضل ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام لا يعدل إلى الفعل لما في وقوع ذلك من النفرة المضادة لحسن المعاشرة المطلوبة في الزوجية الا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله .

٤- جواز مراجعة العالم في فتواه؛ لمعرفة عواقبها ومآلها.

٥- جواز الشكوى للأمير أو العالم إذا لحق ضرر بالشاكي.

٦- الضرب وسيلة لتأديب المرأة الناشز وهو مباح في الجملة.

٧- الرجل راع في بيته، فيجب أن يريهم ويهذبهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢٨٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ) رواه مسلم.

(الدنيا) سميت بذلك لسبقها للأخرى ، وقيل سميت بذلك لدنوها إلى الزوال ، وحقيقتها : كل ما على الأرض من الهواء والجو مما قبل قيام الساعة .

(متاع) أي تمتع قليل ، ونفع زائل عن قريب .

(وخير متاعها) أي خير ما يُتمتع به في الدنيا .

(المرأة الصالحة) هي الصالحة في دينها ، ونفسها ، والمصلحة لحال زوجها .

١- الحديث دليل على أن الزوجة الصالحة خير متاع الدنيا .

لأن هذه المرأة الموصوفة بالصالح تكون عوناً على أعظم أمرٍ يهم المسلم ألا وهو الدين . وهي من السعادة .

قال النبي ﷺ (ثلاث من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح...) رواه أحمد .

ومن رزق زوجة صالحة فقد أعين على دينه .

قال النبي ﷺ (من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتيق الله في الشطر الثاني) رواه الحاكم .

عن محمد بن واسع قال ابن يسار : ما غبطته بثلاث: زوجة صالحة وبحار صالح، وبمسكن واسع .

وقال الأصمعي: ما غبطت رجلاً بشيء ما رفع أحد نفسه -بعد الإيمان بالله تعالى- بمثل منكح صدقٍ، ولا وضع نفسه - بعد الكفر بالله تعالى - بمثل منكح سوء .

الطريق إلى الزوجة الصالحة:

أولاً : الدعاء :

فالدعاء نافع مما نزل وما لم ينزل .

أما نفعه مما نزل فدعاء زكريا ربه (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) .

فبسبب دعائه وهبه الله يحيى وأصلح له زوجه بأن جعلها ولوذاً بعد العقر حسنة الخلق والخلق

وأما نفعه مما لم ينزل، فقد قال تعالى وهو يصف عباده الصالحين (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) .

ثانياً : البحث عن ذات الدين:

فلا يتوقف المسلم عند الدعاء فقط، بل عليه أن يأخذ بالأسباب، ويبحث عن ذات الدين؛ لأنها هي التي تُسعد زوجها، وتُرضي ربه، وتربي أبناءها.

وأعنى بذات الدين التي التزمت أمر ربه، وأطاعت رسوله، وتعلّمت إسلامها، فهي ملتزمة بالإسلام ظاهراً وباطناً سرّاً وعلانية!

قال النبي ﷺ (تُنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها، ولجمالها ولدينها، فاطفر بذات الدين تربت يداك) .

٢- الحديث دليل على أن الدنيا متاع زائل ، وقليل فانٍ .

قال تعالى (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) .

- وقال تعالى (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظَلَّمُونَ فِتْيَالاً) .
- وقال تعالى (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) .
- وقال تعالى (مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) .
- وقال تعالى (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) .
- وقال تعالى (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) .
- فمتاع الدنيا قليل ؟ لماذا ؟ لأنه يزول ولا يبقى .
- ٣- ينبغي الحرص على الآخرة لأنه أفضل وأبقى من الدنيا .
- كما قال تعالى (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) .
- وقال تعالى (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) .
- ٤- ينبغي البحث عن المرأة الصالحة لأنها خير متاع الدنيا .
- ٥- فضل مصاحبة أهل الخير وكل من يعين على الخير .